

الباب الثاني

الإطار النظري عن السجع ودرجات حسن السجع

أ- اللغة العربية والعلوم متعلقة بها

اللغة العربية إحدى اللغات الحية المتجددة التي حملت رسالة السماء على لسان سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وخاتم الأنبياء والمرسلين. واللغة العربية هي الكلمات التي يعبر بها العرب عن أغراضهم. وقد وصلت إلينا من طريق النقل. وحفظها لنا القرآن الكريم والأحاديث الشريفة، وما رواه الثقات من منثور العرب ومنظومهم. لما خشى أهل العربية من ضياعها، بعد أن اختلطوا بالأعاجم، ودونها في المعاجم، وأصلوا لها أصولاً تحفظها من الخطأ. وتسمى هذه الأصول "العلوم العربية". فالعلوم العربية هي العلوم التي يتوصل بها إلى عصمة اللسان والقلم عن الخطأ. وهي ثلاثة عشر علماً: الصرف، والإعراب، والرسم، والعروض، والقوافي، وقرض الشعر، والإنشاء، والخطابة، وتاريخ الأدب، ومتن اللغة، والمعاني، والبيان، والبديع¹ (وتسمى هذا العلوم الثلاثة الأخيرة باسم "البلاغة").

¹ مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، (بيروت: دار الفكر، ٢٠٠٧)، ص. ٧.

ب- علم البلاغة وأقسامه

البلاغة في اللغة: الوصول والإنتهاء، يقال بلغ فلان مراده إذا وصل إليه، وبلغ الركب المدينة إذا انتهى إليها ومبلغ الشيء منتهاه. وفي الإصطلاح: تقع وصفا للكلام والمتكلم فقط؛ دون الكلمة لعدم السماع. وسارت علوم البلاغة والنقد وسواها مسارها الطبيعي من العصر الجاهلي، وكذلك بعد ظهور الدعوة الإسلامية وما رافق نزول الوحي من جدل، وبوادر معارضة القرآن الكريم من قبل بعض المهووسين الموتورين أمثال مسيلمة، وسجاح التميمية، وذلك المتكبر الجاحد الوليد ابن المغيرة الذي أثر عنه قوله: {والله إن لكلامه لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أسفله لمغرق، وإن أعلاه لمورق، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه، وما هو بقول البشر}.^٢

كانت البلاغة - ولا تزال عماد مذهب أصيل من مذاهب النقد الأدبي، وهو المذهب البياني، أو المذهب الجمالي الذي أصبح يطلق عليه في أيامنا "المنهج الفني في نقد الأدب" وهو أقدم مناهج النقد المعروفة. ويبحث بمقتضاه عن الأسس الفنية التي ينهض عليها الأدب، ويضم شملها الدراسات البلاغية.

(١) البلاغة في الكلام مطابقتها لما يقتضيه حال الخطاب مع فصاحة ألفاظه "مفردتها ومركبها".

وحال الخطاب "ويسمى بالمقام" هو الأمر الحامل للمتكلم على أن تورد عبارته على صورة مخصوصة.

والمقتضى "ويسمى الإعتبار المناسب" هو الصورة المخصوصة التي تورد عليها العبارة. مثلا "المدح" حال يدعو لإيراد

^٢ الإمام يوسف السكاكي، *مفتاح العلوم*، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٧)، ص. أ-ج.

العبرة على صورة الإطناب، و"ذكاء المخاطب" حال يدعو لإيراد العبرة على صورة الإيجاز. فكل من المدح والذكاء "حال ومقام"، وكل من الإطناب والإيجاز "مقتضى".

وإيراد الكلام على صورة الإطناب أو الإيجاز "مطابقتة للمقتضى". واعلم أن للبلاغة مراتب كثيرة على حسب التوفية بمقتضى الحال الذي هو الخصوصيات المعتبرة عند البليغ، أو الكلام المشتمل على تلك الخصوصيات فكلما كان الكلام أوفى بما كان أبلغ، وكلما كان أقل وفاء كان أقل بلاغة ولا بد مع التوفية من مراعاة فصاحة الألفاظ إذ لا تتحقق البلاغة إلا بها.

واعلم أيضا أن كل بليغ فصيح ولا عكس؛ وحينئذ البلاغة أخص والفصاحة أعم لأنها مأخوذة في تعريف البلاغة كما سبق بيانه.

(٢) بلاغة المتكلم هي ملكة يقتدر صاحبها بها على تأليف كلام بليغ مطابق لمقتضى الحال مع فصاحته في أي معنى قَصَدَه.

وتلك غاية لن يصل إليها إلا من أحاط بأساليب العرب خُبرا، وعرف سنن تخاطبهم منافراتهم، ومفاحراتهم، ومديحهم، وهجائهم، وشكرهم، واعتذارهم، ليلبس لكل حالة لبوسها "ولكل مقام مقال".^٣

فالأحوال ومقتضياتها تعرف بعلم المعاني، وخلو الكلام من أوجه التحسين التي تكسوه رقة ولطافة بعد رعاية مطابقتة تعرف بعلم البديع.

^٣ السيد أحمد الهاشمي، *جواهر البلاغة*، (القاهرة: شركة القدس للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩) ص.

فإذا وجب على طالب البلاغة معرفة اللغة والصرف والنحو
والمعاني والبيان والبديع مع كونه سليم الذوق كثير الإطلاع على
كلام العرب، وصاحب خبرة وافرة بكتب الأدب، ودراية تامة
بعاداتهم وأحوالهم، واستظهار للجيد الفاخر من نثرهم ونظمهم،
وعلم كامل بالنابغين من شعراء وخطباء وكتاب ممن لهم الأثر البين
في اللغة، والفضل الأكبر على اللسان العرب.^٤
وتتألف البلاغة العربية من علوم ثلاثة، كما يلي:

١. علم المعاني

علم المعاني تتكلم بما يحترز به عن الخطأ في تأديه المعنى الذي يريده
المتكلم لإيضاح إلى الذهن السامع. و علم المعاني هو علم يعلم به أحوال
اللفظ التي بها يطابق مقتضى الحال وينقسم إلى ستة البحوث: وهي الخبر
والإنشاء، والذكر والحذف، والتقديم والتأخير، والوصل والفصل، والإيجاز
والإطناب والمساواة.

٢. علم البيان

هو علم يستطيع بمعرفته إيراد المعنى الواحد بطرق يختلف بعضها عن
بعض في وضوح الدلالة على نفس ذلك المعنى وفي خفائها مع رعاية
مقتضيات الحال. وينقسم إلى ثلاثة البحوث: وهي التشبيه، والمجاز،
والكناية.

وعلم البيان يتحدث بما يحترز به عن التعقيد المعنوي-أي عن
أن يكون الكلام غير واضح الدلالة على المعنى المراد^٥.

^٤ المرجع نفسه، ص. ٣٣.

^٥ أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، الحرمين. ص. ٥.

٣. علم البديع

يتكلم علم البديع بما يراد به تحسين الكلام و هو علم يعرف به الوجوه والمزايا التي تكسب الكلام حسنا وقبولا بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال التي يورد فيها ووضوح الدلالة على ما عرفت في العلمين السالفين. أول من دون قواعده ووضع أصوله عبد الله بن المعتز العباسي، فقد استقصى ما في الشعر من المحسنات وألف كتابا ترجمه باسم "البديع"^٦. وهذا العلم فضائل مشهورة، ومناقب معروفة، منها أن صاحب العربية إذا أخل بطلبه، وفرط في التماسه ففاته فضيلته، وعلقت به رذيلة فوقه، عقى على جميع محاسنه؛ لأنه إذا لم يفرق بين كلام جيد وآخر رديء، ولفظ حسن وآخر قبيح، وشعر نادر وآخر بارد، بان جهله ونقصه^٧.

ج- علم البديع وأقسامه

البديع لغة هي: كلمة "بديع" على وزن "فعليل" تأتي لغة بمعنى اسم الفاعل، وبمعنى اسم المفعول.

علم البديع هو علم يعرف به الوجوه والمزايا التي تكسب الكلام حسنا وقبولا بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال التي يورد فيها ووضوح الدلالة على ما عرفت في العلمين السالفين. أول من دون قواعده ووضع أصوله عبد الله بن المعتز العباسي، فقد استقصى ما في الشعر من المحسنات وألف كتابا ترجمه باسم "البديع"^٨. البديع في اللغة الجديد والمحدث والمخترع على غير مثال سابق. وعلم البديع في الإصطلاح

^٦ أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة، الطبعة الرابعة، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٧١)، ص. ٣١٨.

^٧ عبد العزيز عتيق، علم البديع، (القاهرة: دار الآفاق العربية، ٢٠٠٣)، ص. ٤.

^٨ أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة، الطبعة الرابعة، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٧١)، ص. ٣١٨.

البلاغي : هو العلم الذي يُعرف به وجوه تحسين الكلام ، بعد رعية المطابقة لمقتضى الحال (علم المعاني) ، ورعاية وضوح الدلالة على ما يراد (علم البيان) .
وينقسم علم البديع إلى قسمين: وهما المحسنات المعنوية والمحسنات اللفظية.
وتنقسم المحسنات المعنوية إلى ثلاثة وعشرين نوعا، يعني؛ المطابقة، والمقابلة، والمبالغة والإغراق، والغلو، والإيغال، والتتميم، والتورية، والتقسيم، والالتفات، والجمع، والتفريق، والجمع مع التقسيم، والجمع مع التفريق، والجمع مع التفريق والتقسيم، وتأكيد المدح بما يشبه الذم، وتأكيد الذم بما يشبه المدح، والمذهب الكلامي، واللف والنشر، ومراعاة النظير، وإيهام التناسب، وأسلوب الحكيم، والتجريد.
وأما المحسنات اللفظية تنقسم إلى سبعة أنواع؛ الجناس، والسجع، والاقْتباس، ورد العجز على الصدر، ولزوم ما يلزم، والموازنة، والتشريع.

فأما المحسنات المعنوية وهي التي يكون التحسين بها راجعا إلى المعنى، كالمقابلة بين "قريب وبعيد" وبين "عداوة ومودة" في شعر بن المعتز: الْقَرِيبُ بِعَدَاوَتِهِ بَعِيدٌ، وَالْبَعِيدُ بِمَوَدَّتِهِ قَرِيبٌ. وأما المحسنات اللفظية وهي التي يكون التحسين بها راجعا إلى اللفظ، كالسجع كل نوع من أنواع المحسنات البديعية وجوه خاصة لتحسين الكلام.

ومن الأهداف محسنات اللفظية يعني ليتقنوا معرفة بنية كل فن بديعي ، والفروق الدقيقة الي تميزه عن الفنون البديعة الأخرى ، فيزيد الوعي النقدي والأدبي بين الطلاب ، ويتمكنون من تذوق النصوص الأدبية ، تمييز جيدها من رديئها ، ويطلعون على بعض أسرار الإعجاز القرآني ، فتثبت جذور الإيمان ، وترسخ في قلوبهم ، وذلك هدف عظيم ونيل .

وهذا العلم فضائل مشهورة، ومناقب معروفة، منها أن صاحب العربية إذا أحل بطلبه، وفرط في التماسه ففاته فضيلته، وعلقت به رذيلة

فوقه، عقى على جميع محاسنه؛ لأنه إذا لم يفرق بين كلام جيد وآخر رديء، ولفظ حسن وآخر قبيح، وشعر نادر وآخر بارد، بان جهله ونقصه^٩. وفي هذه الرسالة العلمية ستبحث الباحثة عن النوع من الأنواع المحسنات اللفظية، يعني عن السجع.

د- السجع ودرجات حسن السجع

من المحسنات البديعة يعني السجع، السجع في اللغة صوت الحمام وهديله، وفي الاصطلاح البلاغي: هو اتفاق الفاصلتان في الحرف الأخير^{١٠}. في قاموس المحيط في طريقة المصباح المنير وأساس البلاغية" السجع هو الكلام المقفى، أو موالاة الكلام على روي^{١١}. وفي لغة علماء البيان: اتفاق الفواصل في الكلام المنثور في الحرف أو في الوزن في مجموعها^{١٢}. وفي الاصطلاح السجع هو توافق الفاصلتين من النثر على حرف واحد في آخرها^{١٣}. وفي كتاب تيسير البلاغة، السجع وهو توافق الفاصلتين في الحرف الأخير في النثر؛ كقوله صلى الله عليه وسلم: ((اطعموا الطعام ، وأفشوا السلام، وصلوا الأرحام ، وصلوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام)) .

^٩ عبد العزيز عتيق، علم البديع، (القاهرة: دار الآفاق العربية، ٢٠٠٣)، ص. ٤.

^{١٠} أسامة البيحري، تيسير البلاغة، ص. ١٥١

^{١١} الطاهر أحمد الزاوي، القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس

البلاغة، (رياض: دار عالم الكتب، ١٩٩٦)، ص. ٥٣٣.

^{١٢} محمد بركات حمدي أبو علي، البلاغة العربية في ضوء منهج متكامل، (عمان: دار الخير :

١٩٩٢)، ص. ٥٩.

^{١٣} عبد العاطي عريب علام، دراسات في البلاغة العربية، (بنغازي: جامعة قازيونس: ١٩٩٧

ص. ٢١٦ .

ومنه القلب كقول الشاعر :

موزنة تدوم لكل هول
وهل كلّ مودّة تدوم

وفي القرآن : (كُلُّ فِي فَلَكٍ) ، و (وَرَبِّكَ فَكَبْرٌ)

- ومنه : لزوم ما لا يلزمُ وهو : أن يجي قبل آخر حرفٍ

س من الشعر أو الفاصلة في السجع بما لا يلزمه ، كلزوميّاتي العلاء

وضابط الحسن في ذلك وفي جميع ألوان البديع : أن تكون

الألفاظ تابعة للمعاني. ومن نصر الألفاظ على المعاني فهو ظالم
للبيان^{١٤}.

والسجع محسن بديعي لفظي بحالة الأول النثر ، وبحال الثاني

الشعر ، فهو قاسم مشترك بينهما ، لكنه في النثر من الناحية الموسيقية
والغنيمة إلى ثلاثة أقسام^{١٥} : المرصّع (التصرّيع) و المتوازي و المتطرّف.

تختلف العلماء البلاغيون عن أنواع السجع منهم يقول له ثلاثة،

منهم يقولون أربعة وأكثر. في كتاب جواهر البلاغة يذكر ثلاثة أنواع السجع
يعني السجع المطرف، السجع المتوازي والسجع المرصع^{١٦}.

أما يقول أربعة اقسام وهو يريد السجع السجع التوازن هذا قول

إنعام فوال عكاوي^{١٧} . وقول أحمد مطلوب وهو يزيد بالسجع المشطر^{١٨} .

وقول محمود و أحمد المراغي بالسجع المشطور أو التشطير^{١٩} . وقول جلال

١٢ عبد العزي بن علي الحربي ، البلاغة الميسرة ، (بيروت : دار ابن حزم ، ٢٠١١)، ص.

. ٨٢-٨١

^{١٥} المرجع نفسه ، ص. ١٥٦-١٥١

^{١٦} أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة ، (دار الفكر)، ص. ٣٥١ .

^{١٧} أنعام فوال عكاوي، نفس المكان، ص. ٥٧٨ .

^{١٨} احمد مطلوب، فنون بلاغية البيان- البديع، (الكويت: دار البحوث العلمية، ١٩٥٨)،

ص. ٢٤٧ .

^{١٩} محمود وأحمد حسن المراغي، المرجع السابق ص. ١٢٩ .

الدين السيوطي الشافعي وهو يزيد بالسجع متوازن ومتماثل^{٢٠}. وأما الباحثة فتابعت إلى قول الأول بأن السجع هو ثلاثة أقسام.

١- السجع المرصع

السجع المرصع هو ما اتفقت فيه الفاصلتان وزنا وتفقيّة، هذا قول إنعام فوّال عكاوي^{٢١}. وقول الأزهر الزناد المرصع هو ما اتفقت فاصلتاه أو فواصله في الصيغة الصرفية والقافية^{٢٢}. وفي كتاب البلاغة الميسرة، المرصع هو ما تكون فيه كلمات إحدى القرينتين أو أكثرها تماثل كلمات القرينة أخرى في الوزن العروضي (لا الصريفي) والقافية.

كقوله تعالى :

إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (٢٥) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ (٢٦) (الغاشية : ٢٦-٢٥)^{٢٣}.
كلمات الآيتين متماثلة ، في الوزن الموسيقي وفي الحروف الأخيرة (إِلَيْنَا = عَلَيْنَا) ، (إِيَابَهُمْ = حِسَابَهُمْ).

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " الطاعم الشاكر كالصائم

الصابر " .

كلمات الجملتين متماثلة في الوزن الموسيقي وفي الحروف الأخيرة)

(الطاعم = الصائم) (الشاكر = الصابر) .

وقول الحريري في إحدى مقاماته : "فهو يطبع الأسجاع بجواهر

لفه ويقر الأسماع بزواجر وعظه " .

^{٢٠} جلال الدين السيوطي الشافعي، *الاتقان في علوم القرآن*، (بيروت: مؤسسة الكتب

الثقافية، ١٩٩٦)، ص. ٢٧٨ .

^{٢١} إنعام فوال عكاوي، نفس المكان، ص. ٥٧٨ .

^{٢٢} الأزهر الزناد ، نفس المكان، ص. ١٦٢ .

كلمات الجملتين متماثلة في الوزن وفي الحروف الأخيرة (يطبع =
يقرع) ، (الأسجاع = الأسماع) ، (جواهر : زواجر) ، (لفظه = وعظه) .
ويأتي الشاعر في المدح : (ن الكلمل)

فَحْرِيقُ جَمْرَةٍ سَيْفِهِ لِلْمَعْتَدِي وَرَحِيقُ خَمْرَةٍ سَيْبِهِ لِلْمَعْتَفِي
(السيب : العطاء ، المعتفي : طالب العطاء)

كلمات شطري البيت متماثلة في الوزن العروضي وفي الحروف
الأخيرة (حريق = رحيق) ، (جمرة = خمرة) ، (سيفه = سيبه) ،
(للمعتدي = للمعتفي) .

والسجع المرصع أعلى مراتب السجع في النغم الموسيقي لأن
أكثر الكلمات في الجمل المسجوعة تكون متماثلة في الوزن والقافية ،
وتضفي على النثر جوا موسيقيا قريبا من موسيقي الشعر .

٢- السجع المتوازي

السجع المتوازي هو ما اتفقت فيه الفرقتان في الوزن والتفقيه . وقول
عبد العزیز قلیلة المتوازي هو ما اتفقت فيه الفاصلتان وزنا وتفقيه .
والمتوازي هو ما اتفقت فيه الفاصلتان في الوزن والقافية .

كقول الله تعالى :

(فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ - وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ) (الغاشية : ١٤-١٣)

هناك اتفقت الفاصلتان (الكلمة الأخيرة في كل جملة) في الوزن

والقافية .

(مرفوعة = موضوعة) .

وقول الرسول صلى عليه وسلم :

" اللهم اعط كل منفق خلفا . وكل ممسك تلفة . "

اتفقت الفاصلتان (في الوزن والقافية (خلقا = تلفا) .

وكلمة :

(منفق) تماثل (ممسك) في الوزن الروضي .

والسجع المتوازي يشبه التصريع في الشعر وهو اتفاق الكلمة الأخيرة

في شطر البيت الأول (العرو) مع الكلمة الأخيرة في شطر البيت الثاني

(الضرب) في الوزن والقافية .

كقول امرئ القيس في مطلع معتمدة : (من الطويل)

قفانك من ذكرى حبيبٍ ومنزلٍ بقسطِ اللوى بين الدخولِ فحوملِ

٣- السجع المطرف

المطرف هو ماختلفت فاصلته في الوزن، واتفقا في التفقية وهذا قوله

أحمد الهاشمي^{٢٤} . وقول عبده عبد العزيز القلييلة ان المطرف هو ما اتفقت فيه

الفاصلتان تفقية لا وزنا^{٢٥} . وفي كتاب البلاغة الميسرة يذكر أن المطرف هو ما

اتفقت فيه الفاصلتان في الحرف الأخير فقط دون الوزن العروضي . كقول الله

تعالى :

(ما لَكُمْ تَرْتُجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا - لَا تَوَقَّدُ خَلْقَكُمْ أَطْوَارًا) (نوح :

١٤-١٣) .

اتفقت الفاصلتان (وقارا) و (أطوارا) في الحرف الأخير (الراء) ف

واختلفتا في الوزن العروضي .

للسجع له بعض الشروط يعني:

^{٢٤} أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة ، ص. ٢٥١ .

^{٢٥} عبده عبده العزيز القلييلة، البلاغة الاصطلاحية، (القاهرة: دار الفكر العربي ١٩٩٢) ، ص

١- اختيارات مفردات الألفاظ على الوجه الصحيح وذلك أن تنون جيدة.

٢- اختيار التركيب الحسن.

٣- أن يكون اللفظ في الكلام المسجوع تابعا للمعنى لالمعنى تابعا للفظ.

٤- أن تكون كل واحدة من الفرقتين المسجوعين دالة على معنى غير المعنى الذي دلت عليه أختها^{٢٦}

هـ- درجات الحسن السجع

قد رتب العلماء البديع درجات الحسن في السجع في ثلاثة درجات :

١- العليا : يعني ما تساوت سجعاته ، مثل قول الله تعالى في سورة الواقعة :

فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ

٢- الوسطى : يعني ما طالت سجعته الثانية، أو الثالثة ، مثل ما يلي :

- طالت السجع الثانية :

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ - مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ

(سورة النجم : ١-٢)

- طالت السجع الثالثة :

خُذُوا فَعْلُوهُ - ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ - ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا

فَاسْأَلُوهُ (سورة الحاقة : ٣٠-٣٣)

^{٢٦} أحمد مطلوب، فنون بلاغية البيان- البديع، ص. ٢٣٨ .

٣- الدرجة الثالثة ، يعني ما كانت سجعته الثانية أقصر من الأولى قصرا قصيرا.
يحسن معه الذوق المجالي الأديب بأنه كالشيء المبتور الذي قطع قبل أن
يستكمل ما كان ينبغي له.

قول عبد الرحمن:

المِحْكَمُ في كل ذلك الحس الجمالي لدى ذواقي الجمال في الكلام، لا التساوي
في الفقرات، ولا طول بعجها وقصرا بعضا.

على أن المعاني ينبغي أن تكون صاحبة الخط الأوفر من الاعتبار، وما
تستدعيه المعاني من تساوى في الفقرات أو تفاضل فهو الذي يحسن أن يصار
إليه دواما، والفيود من ورائ ذلك قيود شكلية لا لزوم لها.